DOI:10.18018/URUK/020-13/711-731 ISSN : 2072-6317(P) - 2572-5440(O)

BM-Publisher

جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الانسانية

مجلة اوروك للعلوم الانسانية

موقع المجلة : www.muthuruk.com

الأهمية السياسيَّة والاقتصاديَّة لمدينة ظَفَار حِمْيَر في القرن الأول الميلادي في ضوء نقشين مُسندين جديدين

محمد بن علي الحاج*

جامعة حائل/ قسم الآثار

معلومات المقالة

تاريخ المقالة:

الاستلام: 2019/12/12

تاريخ التعديل: 2019/12/18

قبول النشر: 2020 /1/8

متوفر على النت:2020/6/11

الكلمات المفتاحية :

مدينة ظفار

القرن الاول الميلادي

نقشين مسندين

الملخص

هذه دراسة تحليليَّة لنقشين مسندين كُتِبَا باللغة القتبانية، عُثِر عليهما في قرية هجر العَادي بوادي حَرِيْب حيث قامت مدينة مَرْيَمة، إحدى أهم مدن مملكة قتبان الواقعة على الطريق التجاري القديم، الرابط بين مدن قتبان الشمالية، وبين مدينة مأرب عاصمة مملكة سبأ، والنقشين ذوا طابع معماري يخلِّدان قيام شعب مدينة مَرْيَمة، التجار المقيمون منهم في مدينتي ظَفَار ورحابة، بتأسيس عدد من المنشآت المعمارية المرتبطة بسور مدينتهم مَرْيَمة، وبنائها، وتعليتها.

وتأتي أهمية هذين النقشين من كونهما غير منشورين، وأنهما يأتيان على ذكر مدينة ظَفَار حِمْيَر بوصفها حينها حاضرة الكِيان السياسي الحِمْيَري، وأهم معاقله ضمن إقليم المرتفعات الوسطى، وبوصفها- ثانياً- من المدن الحِمْيَرية التجارية التي أصبحت منذ بداية القرن الأول الميلادي مقرًا لعدد من الجاليات التجارية، وأبرزها القتبانية بحكم موقعها الرابط بين مدن الوديان الشرقية والبحر المطل في الوقت نفسه على عدد من المدن والموانئ الاستراتيجية، مثل مدينة السوَا، وشُكُع، وتُبن، وميناءي عدن وموزع. فضلاً عن ذلك فإن النقش الأول من هذه الدراسة عُثر عليه في موقعه الأصلي من البناء، الأمر الذي أسهم في توضيح دلالة بعض ألفاظ النقوش المسندية المعمارية.

© جميع الحقوق محفوظة لدى جامعة المثنى 2020

مِهَادٌ جغرافي - تاريخي:

ظَفَار بفتح أولها وثانيها مدينة حِمْيَرية منيعة، ذائعة الصِّيت، تقع ديارها في مرتفعات اليمن الوسطى، بين مدن الوديان الشرقية والبحر، حيث تكثر القيعان الخصبة، والمروج الخضراء الممرعة، وترتفع الجبال المنيفة الشماء، وتكثر مآتي العيون العذبة، ويثمر الغرس، ويسهل الإشراف والتحكم بطرق التجارة وصادراتها جنوبًا وغربًا، وهي بهذا الموقع تتوسط سراة اليمن المطلة على تهامة والبحر الأحمر من جهة الغرب، والمحيط الهندي من الجنوب، وعلى مدن القوافل التجارية من جهة الشرق، والمسافة بينها وبين خليج عدن قرابة 170 كم، وعن ميناءي المَخا (مَوْزع) قرابة 160كم. وهي عاصمة مملكة حِمْيَر، وقد ورد ذكرها في عددٍ من النقوش السبئية بوصفها عاصمة الكيان السياسي الحِمْيَري، ومقر تبابعته الذين بدؤُوا مشروع توحيد اليمن القديم (إرياني 1/14)، واتخذوا بعد ذلك اللقب الملكي الطويل (ملك سبأ وذي رَيْدان وحضرموت ويمنات وأعرابهم في الجبال والتهائم) بعد اخضاعهم لمجمل مناطق وسط الجزيرة العربية وشمالها.

وظَفَار لغة من الظفْر بالسكون، وهو النيل والغلبة والتمكن، يقول عنها الهمداني في كتابه الإكليل (ت

*الناشر الرئيسي : E-mail : alhajj.moh @gmail. Com

336هـ): وظَفَار بسند جبل بأعلى قتاب بالقرب من مدينة السخطيين وهي منكث، وكان بها تسعة أبواب، وكان على هذه الأبواب أوهاز: وهم الحجاب، وما كان أحد يدخل باب الحقل إلا بإذن من أولئك الأوهاز، وكان للباب معاهرة وهي الأجراس، فإذا فتح وأغلق سمعت أصوات تلك المعاهرة من مكان بعيد.[1]

ويدعم الهمداني قوله هذا في منعة مدينة ظَفَار وتحصينها وأهميتها ببيت شعر ينسبه للتبع اليماني:

ظفرنا بمنزلنا من ظَفَار وما زال ساكنها يظفر

وفيها، أي ظَفَار يقع قصر ذي رَيْدان "ب ي ت ن/ ري د ن" (ZM 2263+2262+2264)، مقر تبابعة حِمْيَر، ورمز سلطة اليمن القديم، أعجوبة زمانه، وهو الآن خراب منذثر على جبل رَيْدان، لم يبقَ مما يدل على عظمته وبهائه وعظم الباني إلا بعض المداميك الحجرية المنحوتة يصفها الأكوع بقوله: "وهي متلاحقة البناء مصمتة كأنها صخرة واحدة، من الحجر الأسود المنحوت المعروف في اليمن باسم الحبش الأسود"[2] وفي قصر رَيْدان يقول الهمداني مستشهدًا بما قاله علقمة بن ذي جدن:

ومصنعة بذي رَيْدان أسّت : بأعلى فرع متلفة حلوق

وفي رواية أخرى: ومصنعة بذي رَيْدان أست : بناها من بني عاد قروم[3]

وقد تعرضت آثار مدينة ظَفَار منذ وقت بعيد - بما في ذلك آثار حصن ذي رَيْدان للخراب-، ودأب أهالي القرى المجاورة لها على نقل أحجار منشآتها القديمة واستخدامها في بناء منازلهم الحديثة، ومع ذلك لا زالت تحتفظ ببعض الآثار المعمارية الظاهرة، كبقايا جدران التحصينات الدفاعية، والطرق المرصوفة، وأساسات المباني القديمة والحجرات الداخلية المرتبطة بها، والواقعة في المنحدرات الشرقية والجنوبية والغربية من حصن رَيْدان، وأهمها تلك المباني المبلطة التي كشفت عنها مؤخرًا البعثة الألمانية في المنحدر الجنوبي الغربي من حصن رَيْدان، فضلا عن كثير من المنحوتات الفنية، والديكورات المعمارية، والمصنوعات المعدنية، والمنشآت المنحوتة في الصخر[4].

أما النقوش الحِمْيَرية التي عثر عليها في مدينة ظَفَار فهي قليلة مقارنة بغيرها من مدن اليمن القديم، وأغلبها ذو طابع معماري، وتتحدث في بعض تفاصيلها عن منشآت مدينة ظَفَار ومكوناتها المعمارية من قصور ومساكن متعددة الأدوار، والأبراج، وغير ذلك من الاستحداثات المعمارية، وتاريخها يعود إلى الفترة الواقعة بين القرن الأول إلى نهاية الخامس الميلادي (ZM; 28 Gr 2263+2262+2264; Gar antichità 9 d).[5]

وقد أسهم موقع مدينة ظَفَار الاستراتيجي دورًا كبيرًا في نشأتها وتمصرها وازدهار نشاطها التجاري والسياسي خلال القرن الأول الميلادي، وذلك لخصوبة أرضها، وكثرة مائها، واعتماد قسم كبير من أهلها على الزراعة، كما أنَّ موقعها ضمن إقليم المرتفعات الوسطى المشرفة من جهة الشرق على مدن الوديان الشرقية، حيث نشأت حواضر اليمن القديم، ومن جهة الغرب والجنوب على مدن وموانئ البحرين الأحمر والعربي جعل منها ممراً رئيساً، وسوقًا تجاريًا بين مدن الوديان الشرقية والبحر، وفي الوقت نفسه مستقبلة لصادرات الهند وحضارات المتوسط، وجسرًا ناقلًا لكثير من البضائع التجارية والتأثيرات الثقافية، فالتجار القادمون من مدن الوديان الشرقية كمدن قتبان وسبأ ينقلون إليها بضائعهم كمحطة رئيسة وسوق تجاري رائج يتوسط الطريق التجاري المؤدي إلى مينائي عدن وموزع وغيرهما، والتجار العائدون والقادمون في الوقت نفسه من ذانكما المينائين يحملون إليها بضائعهم وما عادوا به من تجارة، ومن ثقافة الشعوب والحضارات الأخرى، ليس ذلك وحسب بل تعد ظَفَار محطة مهمة للتجارة الداخلية المتنقلة بين مدن الوديان والقيعان اليمنية الشرقية والغربية بعد أن أصبحت العاصمة الأولى للكيانين السبئي والحِمْيَري.

وقد كان لذلك الازدهار السياسي والتجاري الذي شهدته مدينة ظَفَار وما جاورها من مدن حِمْيَر صدى في المصادر الكلاسيكية العائدة للقرن الأول الميلادي، وصدى أوسع في المصادر النقشية المسندية المسجلة على لسان شعوب مملكة قتبان، وتحديدًا شعب مدينة مَرْيَمة بوادي

DOI:10.18018/URUK/020-13/711-731

حَرِيْب، والتي نعدها من أصدق الشواهد التاريخية الآتية على ذكر مدينة ظَفَار وأهمها وأقدمها ، وفي هذا البحث سنتعرف أكثر على تلك الأهمية السياسية والاقتصادية لمدينة ظَفَار من مواقع نقشين قتبانيين جديدين مصدرهما موقع هجر العادي بوادي حَرِيْب يعود تاريخهما للقرن الأول الميلادي.

وصف النقشين القتبانيين، مدار هذا البحث:

النقش الأول (حاج – العادي 90)[6]

مدوَّن على حجر جرانيتي، مصقول ومنتظم بوصفه حجر بناء، تتراوح أبعاده التقريبية بين (65 سم) طولًا، و (35 سم) عرضًا، والنقش مؤطر من جهاته الأربع بإطار غائر بهدف جعل سطوره بارزة، وهي عادة جرى عليها سكان مدينة مَرْيَمة بوادي حَرِيْب عند تدوين نقوشهم المعمارية الواقعة ضمن مداميك أبراج ومنشآت مدينتهم حيث يعمدون إلى جعل مساحة مصقولة غائرة تخلو من الكتابة تؤطر واجهة حجر النقش كاملًا (انظر النقوش: حاج – العادي 57؛ 59)، فيما بينها تُكتب حروف النقش، ومثل هذه الخاصية موجودة أيضًا على مداميك أبراج مدينة الأخدود بنجران (ظربان قديمًا).

والنقش مكون من أربعة أسطر مكتملة، كُتبت بخط مسندي واضح الغور، رشيق الزبر، حروف كلماته واضحة ومقروءة (لوحة 1- 3)، وقد رسمت حروف السطر الأخير من النقش على مسافات متباعدة، وبحجم يفوق بقية الأحرف، بوصفها اسم البرج الذي أعيد بناء ساندة الحجري، وهو أمر معهود في النقوش المسندية المعمارية الآتية على ذكر أسماء منشآت معمارية، وأسماء أسر وشخصيات اجتماعية مهمة، والنقش ذو طابع معماري يخلد بناء مرسعة (ساند) البرج المسمى يشهل، وساند الدرج (السلم الحجري) المؤدية إليه، وإلى بعض المنشآت المعمارية المتصلة به، وبسور مدينة مَرْيَمة الغربي.

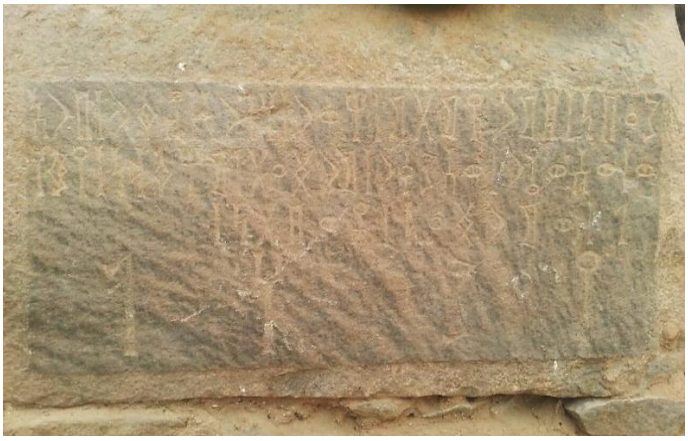

لوحة 1: صورة النقش المعماري (حاج – العادي 90)

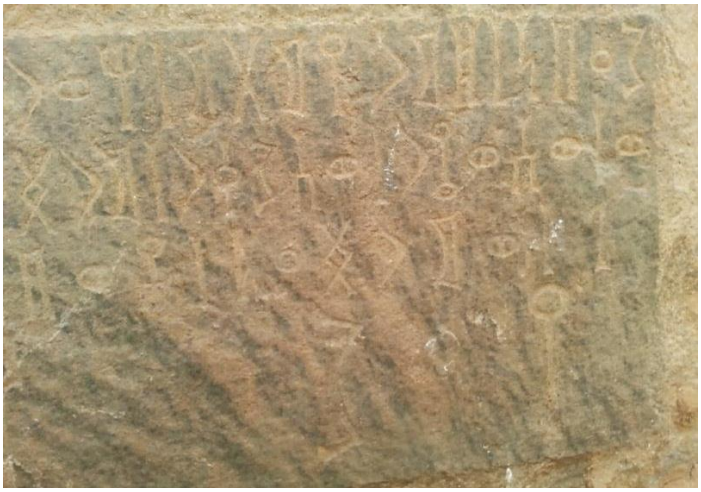

لوحة 2: صورة توضيحية للجهة اليمنى من النقش

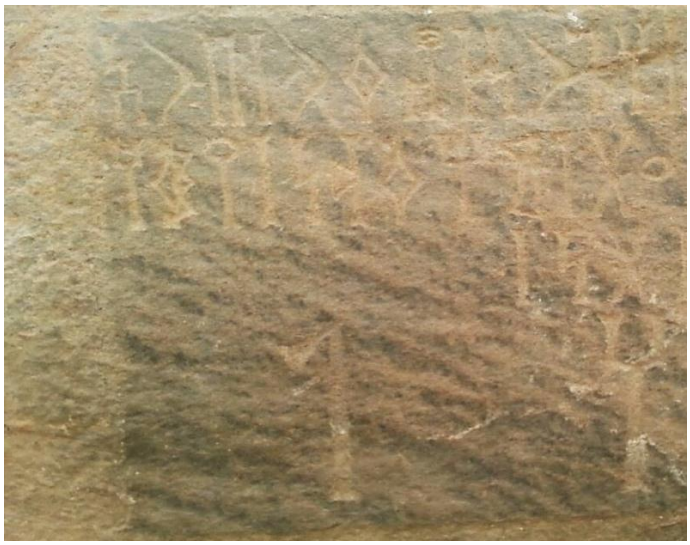

لوحة 3: صورة توضيحية للجهة اليسرى من النقش

DOI:10.18018/URUK/020-13/711-731

لوحة 4- 5: توضحان ما تبقَّى من أحجار الدرج (الصوبة)، وعلي يمين الصاعد منها يقع النقش الآتي على ذكر بنائها من قبل شعب مدينة مَرْيَمة الساكن في مدينة ظَفَار حِمْيَر (تصوير حسين الشريف).

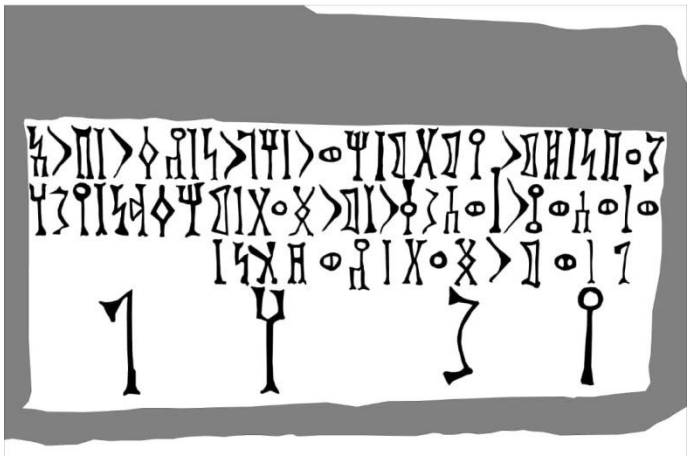

لوحة 6. تفريغ النقش (حاج – العادي 90)

هذا وفي النقش ثلاث خصوصيات مهمة، أولها: أنه لا يزال في مكانه الأصلي من البناء، على واجهة المدماك الثالث من ساند البرج المسمى يشهل، الوارد ذكره في السطر الثاني والثالث من النقش، والواقع في الجهة الشمالية الغربية من سور مدينة مَرْيَمة، وثانيهما: أنه جاء ليؤكد أن مصطلح (ص و ب ت ن) في النقوش المسندية المعمارية يعني: الدرج (سلم حجري)، نظرًا للعثور على تلك الدرج إلى يسار النقش تمامًا، والمبنية من أحجار جرانيتيه مصقولة ومنتظمة (لوحة 4- 6)، تتدرج في ارتفاعها نحو الأعلى بطول حوالي مترين ونصف، بينما يغطي درجاتها السفلية رديم الحفريات العشوائية التي أحدثها سكان هجر العادي في الآونة الأخيرة، وقد جاء ذكر هذا المصطلح في السطر الثالث من النقش بصيغة (ص و ب ت ن). أي: الدرج.

ويبدو واضحًا أن تلك الدرج تمتد لمسافة كبيرة نحو الأسفل، كونها تواصل انعطافها يمينًا للأسفل، ربما إلى خارج البرج المسمى يشهل، أو إلى ساحته الأمامية المؤدية إلى خارج مدينة مَرْيَمة، وعلى يمين تلك الدرج يقوم الساند الحجري والترابي المذكور في النقش بصيغة (م ر سَ ع ت)، فضلًا عن مداميك منشآت معمارية أخرى لايزال كثير من صفوفها الحجرية غائرة تحت الرمال، ويبدو أنَّ وظيفة ذلك السلم الحجري قد تمثلت في الانتقال من خلاله إلى إحدى بوابات مدينة مَرْيَمة، وربما إلى ساحات تقع على مقربة من سور المدينة الغربي، ومن

DOI:10.18018/URUK/020-13/711-731

ثم الارتقاء من خلاله أيضًا إلى أعلى أبراج السور الغربي للمدينة، وما يتصل بها من منشآت تقع نحو الجهة اليسرى منه، والأرجح أنها كانت بمثابة غرف ومصاطب للحراسة، ورمي السهام، وهو ما تكهن به وأدركه سكان هجر العادي أثناء حفرهم وإظهارهم لمداميك البرج المسمى يشهل والسلم الحجري المتصل به. وأما الخصوصية الثالثة فهي أنَّ النقش يأتي على ذكر مدينة ظَفَار حِمْيَر، أو ظَفَار المُلك، حاضرة ملوك سبأ وذي رَيْدان، وهو ما سنأتي على تفصيله لاحقًا.

تاريخ النقش:

ليس في النقش اسم ملك يُعينُ على تحديد تاريخه تمامًا، لكن من خلال قاعدته الخطية المهذبة والمزخرفة، المشابهة في زبرها مع نقوش مسندية أخرى يمكن إرجاع تاريخه إلى القرن الأول الميلادي. انظر (حاج – العادي 59، 60)، فضلًا عن ذلك فإنَّ محتوى النقش، وأسلوب كتابته، ومن ثَمَّ ذكره لمدينة ظَفَار حِمْيَر، مشابه لمحتوى وسياق نقوش قتبانية أخرى مؤرخة تعود للقرن الأول الميلادي، جاء فيها ذكر مدينة ظَفَار (حاج – العادي 62؛ Ry 497) ومدن أخرى في المرتفعات الوسطى والجنوبية بحكم أهمية تلك المدن التجارية آنذاك، وقربها من الساحل الجنوبي والغربي، مثال ذلك النقش (حاج – العادي 21) الآتي على ذكر مدينة شُكُع بمنطقة الضالع، والمُؤَرخ بعهد الملك القتباني شهريجل يهرجب المرجح حكمه بنهاية القرن الأول قبل الميلاد وبداية القرن الأول الميلادي، فترة الازدهار السياسي والاقتصادي لمدن المرتفعات المطلة على موانئ البحر الأحمر وخليج عدن.

النقش بالحروف العربية:

1) ش ع ب ن/ ذ م ري م ت م/ ح و ر/ هـــــ ج رن/ ظ ف ر/ ب رأ
2) و/ و س و ث ر/ و س ش ق ر/ م ر سَ ع ت/ م ح ف د ن/ ي ش ه
3) ل/ و م ر سَ ع ت/ ص و ب ت ن/
4) ي ش ه ل

نقل المعنى:

1) (هذا هو) شعب مَرْيَمة المقيم في مدينة ظَفَار (يعلن أنه) بنى
2) وأسس، وعلَّا (رفع وكلل) ساند البرج (المسمى) يشهل
3) وساند الدرج (السلم الحجري)
4) يشهل

تحقيق النقش:

سطر 1- 2

ش ع ب ن/ ذ م ري م ت م: الشعب ذو مَرْيَمة. أي: الشعب الساكن في مدينة مَرْيَمة. انظر (حاج – العادي 10/29)، والمعروف أنَّ اسم المكان في لغة النقوش اليمنية القديمة يطلق في كثير من الأحيان على ساكنيه، وهذا ينطبق على شعوب مدينة مَرْيَمة، وأهمها شعب بَكيل الذي نُسب إلى مدينة مَرْيَمة، وجاء ذكره في أغلب نقوشها (ب ك ل م/ ذ م ري م ت)، والضبط اللفظي للاسم يعتمد على نطقه الحالي في لهجات اليمن اليوم (مَرْيَمة)، أي: العالية، من الأصل المسندي "ري م". وقد سبق أن أفردنا آثار ونقوش هذه المدينة القتبانية الواقعة في وادي حَرِيْب بدراسات عدة تطرقنا فيها إلى دلالة أسمها، وأسماء شعوبها وأسرها، والمراحل الزمنية التي مرت بها، وأهميتها في تاريخ اليمن القديم، فضلًا عن وصف آثارها الظاهرة الدينية والمدنية [7].

ح و ر/ هـــ ج رن/ ظ ف ر: ساكنوا المدينة ظَفَار، أي مدينة ظَفَار حِمْيَر، أو ظَفَار المُلك كما تثبتها المصادر التاريخية الإخبارية، بوصفها مقر ملوك سبأ وذي رَيْدان، ومن بعدهم تبابعة حِمْيَر، وتقع في مرتفعات اليمن الوسطى، على بعد حوالي 150 كيلاً من مدينة صنعاء إلى الشمال الشرقي، وقد كانت خلال القرنين الأول والثاني الميلادي مقرًا لكثير من الشعوب اليمنية القديمة، وعاصمة الاتحاد السبئي الحميري، وأهمها شعب مدينة مَرْيَمة بوادي حَرِيْب، الذي ترك لنا من عهده عدد من النقوش القتبانية الآتية على القول إنه دأب على التجارة مع مدينة ظَفَار، وأقام بها ردحًا من الزمن إلى جانب إتجاره مع عدد من مدن المرتفعات الغربية والجنوبية

DOI:10.18018/URUK/020-13/711-731

القريبة منها، والمطلة على مينائي عدن وموزع، كمدينة شُكع (حاج – العادي 1/21)، ومدينة تُبن (حاج – العادي 1/59)، ومدينة الحيكل الجنوبية (حاج – العادي 1/59)، ومدينة الرحبة / رحابة (حاج – العادي 1/60)، ومدينتي شبوة وشبام (حاج – العادي 2/35؛ حاج – العادي 2/60)، وجميعها كانت محطات تجارية مهمة، قدم إليها سكان مدينة مَرْيَمة وغيرهم من سكان المدن الشرقية لغرض التجارة، وتصدير البضائع وجلبها عبر الموانئ القريبة منها والمؤدية إليها، المطلة على البحرين العربي والأحمر. والملاحظ أن مدينة ظَفَار قد وصفت في النقش موضوع الدراسة بالهجر، أي المدينة التي يأمن سكانها من أسباب الخوف، حيث يتطاول البنيان، وتشتد الأسوار المحصنة، وفيها تقيم الجاليات التجارية من مختلف بقاع اليمن وخارجه.

ب ر أ و/ و س و ث ر/ و س ش ق ر: أقاموا وأسسوا وعلَّوا. ثلاثة أفعال ماضية شائعة في لغة النقوش اليمنية القديمة. انظر (حاج – العادي 8/ 3-4؛ حاج – العادي 2/55)، يفهم منها السبب الرئيس من تخليد النقش موضوع الدراسة على جدار البرج المسمى يشهل، المتمثل في تأسيس وبناء وتعلية ساند وبطانة البرج يشهل.

م ر سَ ع ت: سبق أن ناقشنا دلالة هذا المصطلح المعماري في دراسات لنا سابقة، وخلصنا – بعد المشاهدة الميدانية لمنشآت مدينة مريمة المعمارية، وتحديدًا تلك التي لازالت تحوي نقوش في مواضعها الأصلية من البناء- أن المراد به بناء حجري يستند إلى بطانة ترابية وحجرية متماسكة، مساوية في ارتفاعها لصفوف البناء الخارجي، الغرض منها تدعيم مداميك الأبراج والأسوار من الداخل[8]، وهو ما يمكن ملاحظته على تفاصيل بناء المرسعة التي يقع عليها النقش موضوع الدراسة في مكانه الأصلي من البناء، حيث ترتفع مداميكها الحجرية عن سطح الأرض بحوالي 3- 4 أمتار، والبعض الآخر منها لا يزال أسفل الرديم (لوحة 4- 5)، وهي تتشابه في بنائها مع بناء المرسعة الوارد ذكرها في النقش (حاج – العادي 2/59)، وهذه شواهد واضحة لما تعنيه مادة رسع في لغة النقوش اليمنية القديمة.

م ح ف د ن/ ي ش هـ ل: البرج يشهل. وصيغة يشهل ترد لأول مرة في لغة النقوش اليمنية القديمة اسمًا لبرج، بينما جاءت مسبقًا في أربعة نقوش قتبانية، مصدرها مدينة تمنع (MuB 588= CSAI I, 179) اسمًا لمعبد يحتمل ارتباطه بعبادة الإلهة (أثرت)[9]، يقع في الجهة الشمالية الغربية من مدينة تمنع (الحسني، 2012: 211)، ويشهل هنا اسم على صيغة الفعل المضارع (يفعل)، أحسب اشتقاقه من مادة (ش هـ ل) المسندية التي لا نعلم معناها بعد، كونها لم ترد قبل في أية صيغة من الصيغ اللغويَّة، وهي كغيرها من الألفاظ اليمنية القديمة التي أُميت استعمالها، لما لها من دلالة يمنية خاصة، أما معناها في العربية الفصحى فيدل على لون الشيء بين الحمرة والسواد، وقيل الغبرة والبياض، والأرجح أن صيغة يشهل قد أطلقت على أحد أبراج مدينة مَرْيَمة كصفة غالبة عليه، تمثلت في هيئته الثابتة واختلاط لون أحجاره بين الغبرة والبياض، فقد جاء في كتب اللغة أن الجبل قد يسمى "أَشْهَل" إذا كان أغبر في بياض، وهو ما ينطبق على لون واجهة أحجار مداميك البرج يشهل التي لاتزال في مواقعها الأصلية من البناء، المشيدة بأحجار جرانيتيه منتظمة تتدرج ألوانها بين الرمادي الفاتح المائل للبياض، والرمادي الداكن، ومع أن الجذر (ش هـ ل) موجود في العربية الفصحى، إلا إنه لا شواهد له بهذا المعنى في اللغات السامية.

وقد درج سكان مدينة مَرْيَمة على تسمية معظم أبراج مدينتهم بأسماء تتوافق مع صفات لها حينها، منها ما جاء على صيغة الفعل المضارع، نحو: (يشهل، يهجل)، ومنها على صيغة فعلان، نحو: (نمران، ظربان)، وغير ذلك، ولعلي أضيف هنا رأيًا آخر يتعلق بسبب تسمية أحد أبراج مدينة مَرْيَمة باسم يشهل، مفاده هو أن موقع ذلك البرج كان يفتح أو يقع في الجهة الموازية أو القريبة من معبد ما اسمه يشهل، يقع في الجهة الغربية من مدينة مَرْيَمة، فسمي البرج به، أو نسبة إليه، بدليل أن اسم

DOI:10.18018/URUK/020-13/711-731

البرج شبعان الوارد ذكره في النقش الثاني من هذه الدراسة، والذي تم بناؤه من قبل شعب مدينة مَرْيَمة الساكن في مدينتي ظَفَار ورحابة – قد سُمي باسم المعبد شبعان الخاص بعبادة الإله حوكم الإله الرئيس لشعوب مدينة مَرْيَمة.

سطر 3- 4

و م رس^{3}ت/ ص و ب ت ن: وساند الدرج. أي ساند السلم الحجري المؤدي إلى أعلى البرج يشهل أو إلى أحد المنشآت المعمارية المرتبطة به. وبهذا يتضح أن السلالم الحجرية في العمارة اليمنية القديمة كانت من العناصر المعمارية الضرورية الملحقة بالأبراج الدفاعية المتصلة بالأسوار، وأنَّ تلك السلالم الحجرية كان يستند بناؤها إلى سواند حجرية وترابية سميكة (بطانة) ترتفع بارتفاع مداميك تلك السلالم، ودليل ذلك أنَّ السلم الحجري والبطانة السميكة المرتبطة به لا زالا في مكانهما الأصلي من البناء، حيث عُثِرَ على النقش موضوع الدراسة، وقد شاهدنا بعضًا منها أثناء النزول الميداني لموقع مدينة مَرْيَمة.

والسؤال هنا هو لماذا تم إعادة بناء البرج يشهل وتأهيله وتعلية مرسعته وما يرتبط بها من سلالم حجرية مِنْ قِبَلِ سكان مدينة مَرْيَمة، المقيمين في مدينة ظَفَار؟ هل لتعرُّضه للخراب والدمار على يد قوات معادية؟ على افتراض أنَّ قتبان حينها كانت على عداء مع بعض الكيانات السياسية المجاورة لمدينة مَرْيَمة، أم أنَّ عملية البناء تلك قد جاءت تأدية لالتزامات دينية مرتبطة بواجبات المعابد والآلهة، كمثاب وعطاء من شعب مدينة مَرْيَمة المقيم للتجارة في مدينة ظَفَار تجاه معبودات مدينتهم، وفي مقدمتها الإله حوكم إله المدينة الرئيس، وهو ما نرجحه هنا؛ إذ تشير نقوش قتبانية أخرى – عملنا على درستها مسبقًا - أن سكان مدينة مَرْيَمة قد دأبوا على إخراج جزيل ثوابهم، وما عليهم من زكوات، وضرائب، وعشور لمعبودهم مدينتهم المسمى حوكم، في هيئة أعمال عمرانية جماعية تمثلت في بناء واستحداث عدد من أبراج المدينة، وما يتصل بها منشآت معمارية[10].

ي ش هـ ل: البرج يشهل. وقد كُتب اسمه بطول السطر الرابع من النقش بأحرف كبيرة ومتباعدة، كطريقة شائعة في النقوش اليمنية القديمة، إذ عادةً ما تُخْتَتَمُ النقوش المعمارية بأسماء المنشآت المعمارية التي تم بناؤها، أو اسمِ العائلة ذي المكانة الاجتماعية الأبرز التي قامت بذلك العمل، تخليدًا لبنائها وتفاخرًا بها.

النقش الثاني (حاج – العادي 91)

مُدوَّن على حجر جرانيتي مربع الشكل (حجر بناء)، تتراوح أبعاده التقريبية بين حوالي 70سم، والنقش مؤطَّر من جهاته الأربعة بغية إبراز أسطر النقش، وهو ذو طابع معماري يخلد بناء البرج المسمى شبعان الواقع ضمن سور مدينة مَرْيَمة الشرقي، وقوامه ثمانية أسطر مكتملة، كُتبت بخط مسندي خفيف الغور، رشيق في رسمه (لوحة 6- 9)، وموقعه الحالي ضمن مداميك جدار بيت/ محسن عبود الشريف الواقع في الجهة الشرقية من هجر العادي، حيث يقع السور الشرقي لمدينة مَرْيَمة[11]، وما يُؤْسَفُ له أن بعض حروف النقش مفقودة والأخرى غير واضحة، نتيجة لاستخدامه مرة أخرى كحجر بناء، وتثبيته ضمن مداميك أخرى بمادة الإسمنت التي أدت إلى تغطية بعض حروفه الجانبية، وتشويه نصفه الأيمن، الأمر الذي جعل من قراءتنا له بالأمر غير اليسير لما أحدثته تلك المادة من خطوط باهتة على سطح النقش قريبة في لونها من لون الحجر نفسه، فضلًا عن رشاقة حروف النقش وغورها غير العميق.

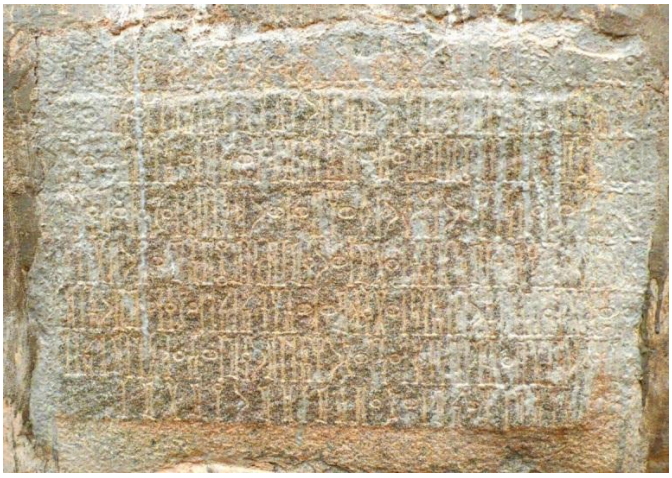

لوحة 6: النقش (حاج – العادي 91)

DOI:10.18018/URUK/020-13/711-731

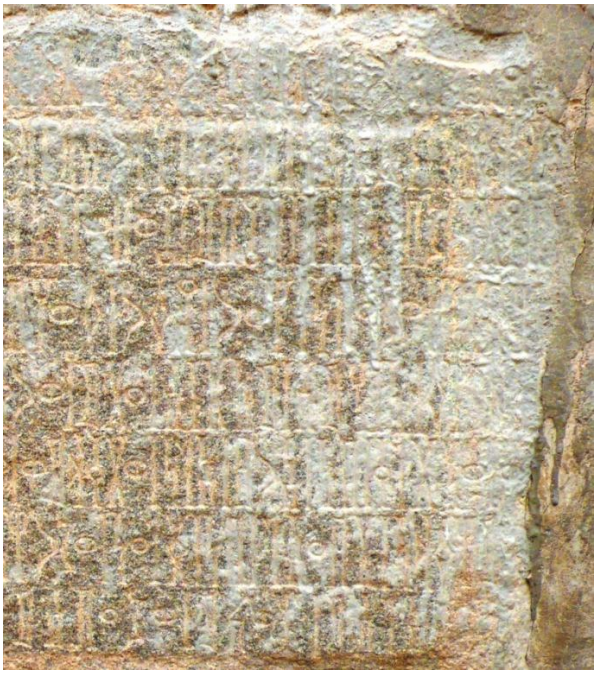

لوحة 7 : صورة توضيحية للجزء الأيمن من النقش (حاج – العادي 91)

لوحة 8: صورة توضيحية للجزء الأيسر من النقش (حاج – العادي 91)

لوحة 9. تفريغ النقش حاج – العادي 91

النقش بالحروف العربية

1) (ش) ع (ب) (ن)/ (ذ م) ر ي م ت م/ ح و ر/ ر ح ب ت (ن)/ ب ر أ و/ و (س) ق [ح] و/ و (س) و ث ر/ و س ش ق ر
2) (م) ح ف (د) (ن)/ ش (ب) ع (ن)/ ب ج ن أ/ هـــــــ ج ر س م/ م ر ي م ت م/ (ل أ ل س م)/ ح و ك م/ و[أ ل] ه (و)
3) ب ي ت (ن)/ ش ب ع ن/ ب ن/ م ث ب م/ ث و ب و/ ل أ ل س م/ ح و ك م/ و أ ل هـــــــ س وو/ (ب) ر [.]
4) [..] ح [..]/ و (ش) ع ب ن/ ح و ر/ ظ ف ر/ ف و هـــــــ ب و/ ورد أ/ ب ن/ ع ش ق/ و م ق (ح)/ [ذ]
5) [ت ن/] م ح ف د ن/ خ م س/ م أ ت/ س ل ع ت م/ و ر ق م/ ب ن/ م ث ب س م/ و ص ر ب ت/ ج [ن أ.]
6) [..] و/ و خ ت ل ق/ ب ن/ أ ر ض/ أ ل ن/ و ت ق د م و/ و س هـــــــ ل ك/ ك ل/ ع ش ق/ و م ب ر أ/ ذ ن
7) [م] ح ف د ن/ ت ب ع إ ل/ ب ن/ سَ ل ع ن/ و ش ر ح إ ل/ م ر ق م/ و س ع د إ ل/ م ل ك [/ ل]

8) إ ل س م/ ح و ك م/ و ش ع ب س م/ ذ م ر ي م ت م/

نقل المعنى:

1) (هـذا هـو) شـعب ذو مَرْيَمـة المقـيم فـي مدينـة الرحبة (يعلن أنه) أَنْشَأَ وأقام وأَسَّسَ ورفع بناء
2) البرج شـبعان الواقـع ضـمن سـور مـدينتهم مَرْيَمـة لإلههم حوكم وآلهة
3) المعبـد شـبعان، وذلـك مـن المثـاب الـذي كـافؤوا بـه إلههم حوكم وآلهته (ب) ر [.]
4) [..] ح [..] وشـاركهم في هـذا العمـل والإنجـاز شـعب (ذو مَرْيَمـة) المقـيم في (مدينـة) ظَفَـار الـذي أعطى وأعان
5) (في بنـاء) البـرج بخمسـمائة قطعـة نقديـة مـن الـذهب مثوبـة وغُرمًـا منـه، وبعمـل أحجـار السـور المسوَّاة [.]
6) [..] ومـا تَلـفَ مـن أرض الإلـه، ولقـد تـولى وأنجـز بناء وتشييد هذا
7) البرج (كل مـن) تبـع إل بـن سـلعان وشـرح إل مـارق وسعد إل مالك [...]
8) (بعون) إلههم حوكم وشعبهم ذو مَرْيَمة

تحقيق النقش:

يفهـم مـن معنى الـنقش أن سـكان مدينـة مَرْيَمـة، المقيمـون للتجـارة في مـدينتي الرحبـة وظَفَـار قـد اشـتركوا في عمـل جمـاعي واحـد، تمثـل في تأسـيس أحـد أبـراج سـور مـدينتهم مَرْيَمـة المسـمى شـبعان وبنائـه وتعليتـه، وذلـك على نفقـتهم؛ مثوبـة ومكافـأة مـنهم لإلههـم حـوكم، إثـر مـا حققـوه مـن أربـاح ومكاسـب تجاريـة في تينـك المـدينتين (ظَفَـار والرحبـة) الـواقعتين على طـرق التجـارة بـرًا وبحـرًا، والـنقش بمحتـواه هـذا يتشـابه مـع محتـوى النقشـين المعمـاريين (حـاج – العـادي 57، حـاج – العـادي 60)، الآتيـين على القـول إنَّ بعـض شـعوب مدينـة مَرْيَمـة اللـذين أقـاموا للتجـارة في مـدن: الرحبـة، وشـبام، وخصـوت، ومرعـة، قـد اشـتركوا جميعًـا في بنـاء عـدد مـن أبـراج مـدينتهم واسـتحداثها ، وبعض المنشآت المعمارية المتصلة بها[12].

سطر 1

ش ع ب ن/ ذ م ر ي م ت م/ ح و ر/ ر ح ب ت ن: الشـعب ذو مَرْيَمـة المقـيم في مدينـة الرحبـة. وهي مـن المـدن اليمنيـة القديمـة المهمـة التي أقـام بهـا سـكان مدينـة مَرْيَمـة للتجـارة، وقـد افترضـنا عنـد دراسـة الـنقش (حـاج – العـادي 1/60) أنهـا مـن المـدن الواقعـة ضـمن وادي رحـاب، مديريـة جيشـان، شـمال شـرق مكيـراس، الـوارد ذكرهـا في النقش (CIAS 49.81/r 9 n° 1)، مع إيرادنا لاحتمالات أخـرى تناولناهـا عنـد دراسـة ذلـك الـنقش، والأرجـح أنهـا مدينـة رحـاب الواقعـة شـمال شـرق مكيـراس، في المرتفعـات الجنوبيـة مـن أراضـي مملكـة قتبـان؛ لكـون أغلـب توجـه تجـار مدينـة مَرْيَمـة كـان باتجـاه مـدن الوديـان الشـرقية ومـدن المرتفعـات الجنوبيـة والغربيـة، حيـث النشـاط التجـاري المزدهـر بحكـم أهميـة مواقـع تلـك المـدن على الطريـق التجـاري القـديم، الـرابط بـين مـدن مملكـة قتبـان في كـل مـن وادي بيحـان وحَرِيْـب، وبـين المـدن والمـوانئ المطلـة على البحر العربي والأحمر.

ب ر أ و/ و س ق ح و/ و س و ث ر/ و س ش ق ر: أربعـة أفعـال ماضـية متتابعـة، يفهـم منهـا طبيعـة العمـل المعمـاري الـذي قـام بـه شـعب مدينـة مَرْيَمـة، المتمثـل في إنشـاء وإقامـة وتأسـيس ورفـع البـرج المسـمى شـبعان ضـمن سـور مـدينتهم. وقـد سـبق لنـا شـرح معـاني هـذه الألفـاظ عنـد دراسة النقوش (حاج – العادي 8/ 3-4؛ 2/55؛ 3/54).

سطر 2 - 3

(م) ح ف (د) (ن)/ ش (ب) ع (ن): البـرج شـبعان. وهـو مـن الأبـراج المتصـلة بسـور مدينـة مَرْيَمـة الشـرقي، وقـد تعرضـت مداميكـه الحجريـة للتخريـب، ونقلـت أحجـاره – بمـا في ذلـك حجـر الـنقش موضـوع الدراسـة - إلى المنـازل الحديثـة مـن قريـة هجـر العـادي الواقعـة على مقربـه مـن سـور مدينـة مَرْيَمـة الشـرقي، وشـبعان اسـم مشـترك بـين عـددٍ مـن المنشـآت اليمنيـة القديمـة، وهـو أيضًـا اسـم المعبـد الـرئيس للإلـه حـوكم، إلـه شـعوب مدينـة مَرْيَمـة بـوادي حريب[13].

DOI:10.18018/URUK/020-13/711-731

ب ج ن أ/ هــ ج رس م/ م ري م ت م : في سور مدينتهم مَرْيَمة بمعنى أن بناء البرج شبعان قد بني ضمن سور مدينة مَرْيَمة، ولعل تأسيس ذلك البرج وبنائه وتعليته قد جاء بغرض استحداثه مرة أخرى، نتيجة تعرضه للتصدع أو التوسعة، إذ إنَّ بناء سور مدينة مَرْيَمة وما يتصل بها من أبراج دفاعية قد تم في فترة تاريخية مبكرة وهي القرن السادس – الخامس قبل الميلاد، استنادًا إلى محتوى النقش البرونزي (Āl Ṣabāḥ LNS 1756 M)[14] الذي عثر عليه مؤخرًا في مدينة مَرْيَمة، الآتي على القول إنَّ ذمار علي ملك قتبان قد كلف القائد أب يدع بن صوعان، بتحصين وتسوير مدينة مَرْيَمة تحسبًا لأي هجوم عسكري قادم من سبأ، إبَّان الحرب الضروس التي نشبت حينها بين ملوك سبأ وقتبان. والمعروفة في النقوش السبئية بحرب قتبان "ض ر/ ق ت ب ن" (Ja 550).

ب رد أ/ ح و ك / و أ ل هـــــــ و/ ب ي ت ن/ ش ب ع ن: بعون الإله حوكم وآلهة المعبد شبعان[15].

ب ن/ م ث ب م/ ث و ب و/ ل أ ل س م/ ح و ك م/ و أ ل هــ س و و [... ...]: وذلك من حال المثاب (العطاء) الذي كافؤوا به إلههم حوكم وآلهته. أي إنَّ بناء البرج شبعان من قِبَلِ شعب مدينة مَرْيَمة المقيم في مدينتي رحابة وظَفَار، هو مثوبة منهم، كافؤوا بها إلههم حوكم، من حال ضريبة الدخل المفروضة على أملاكهم، بوصفهم من التجار المقيمين في تينك المدينتين، وقد سبق لنا أن نقشنا دلالة هذه الصيغة وما يرتبط بها من جوانب دينية واجتماعية في دراسة سابقة[16].

سطر 4 – 5

و (ش) ع ب ن/ ح و ر/ ظ ف ر/ ف و هـــــــ ب و/ و رد أ/ ب ن/ ع ش ق/ و م ق (ح) [ذ ت ن/] م ح ف د ن/ خ (م) س/ م أ ت/ س ل ع ت م/ و ر ق م/ ب ن/ م ث ب س م: أما شعب (ذو مَرْيَمة) المقيم في مدينة ظَفَار فقد أعطى وأعان في بناء البرج (شبعان) وإنجازه بخمسمائة قطعة نقدية من الذهب، مثوبة وغُرمًا منه. وهذا المبلغ الكبير يَنِمُّ عن حجم البذخ الذي كان يعيشه تجار مدينة مَرْيَمة المقيمون في مدينة ظَفَار، وضخامة المنشأة المعمارية التي تم بناؤها، و يَنِمُّ - في الوقت نفسه- عن حجم الشعور الديني تجاه الإله حوكم، والانتماء للوطن حفاظًا وحبًا فيه من خلال الانخراط في تلك الأعمال المعمارية الجليلة التي اتسمت بطابعها الجماعي[17].

و ص ر ب ت/ ج ن أ [... ...]: وعمل أحجار السور المسوَّاة. أي إنَّ شعب مدينة مَرْيَمة المقيم في مدينة ظَفَار قد قام أيضًا إلى جانب مساهمته المالية في بناء البرج شبعان بعمل أحجار السور المصقولة والمزخرفة بعناية. انظر (حاج- العادي 8؛ الحاج، 2015ب: 118).

السطر 6 - 7

[... ...] و/ و خ ت ل ق/ ب ن/ أ ر ض/ أ ل ن: وما تَلَفَ من أرض الإله. هكذا نحتمل قراءة هذه الجملة رغم وجود نقص بينها وبين الجملة السابقة لها في حدود كلمة أو كلمتين، وصيغة (خ ت ل ق) ترد هنا لأول مرة في النقوش القتبانية، وهي من الألفاظ التي تندر شواهدها في لغة النقوش اليمنية القديمة، إذ وردت في نقش سبئي واحد (CIH 338/1)، فسرها واضعوا المعجم السبئي - على نحو غير أكيد - بمعنى: حقل؟[18]، وبمعنى قناة في مدونة النقوش العربية الجنوبية (DASI)، أما في النقوش المعينية فقد وردت في نقش وحيد من العلا (= M 355 RES 3610) بمعنى (قرار)، وفيه شك؟.

عدا أن تلك المعاني لا تتفق وسياق النقش موضوع الدراسة؛ وبالرجوع إلى اللغات السامية نجد أنَّ من معاني مادة (خ ل ق) فساد الشيء وهلاكه، ففي الأكدية "ḫalaqum/ḫuluqqa'um" بمعنى فسد، ضاع، دُمِّرَ[19]، وفي الأوجاريتية "ḫlq" بمعنى هلك، ضاع، دُمِّرَ[20]، وهو كذلك في العبرية، وفي الحبشية القديمة "ḫalqa" ومضارعها "yeḫaq" بمعنى فسد، دُمِّر، فَسَدَ[21]، وفي العربية الفصحى شيءٌ خَلَقٌ بمعنى: بالٍ، وأخلق الدهر الشيء: فناه وأبلاه، ولعلها بهذا المعنى في نقشنا هذا، أي إنَّ سكان مَرْيَمة المقيمين في مدينة ظَفَار للتجارة، قد تكفلوا إلى جانب مساهمتهم في بناء البرج شبعان، وتجهيز الأحجار المصقولة لبناء السور، بإصلاح ما تَلَفَ وفسدَ

DOI:10.18018/URUK/020-13/711-731

مـن أرض الإلـه، أرض الإلـه حـوكم، إلـه مدينـة مَرْيَمـة الرئيس.

و ت ق د م/ و س هـــــــ ل ك/ ك ل/ ع ش ق/ و م ب ر أ/ ذ ن/ م ح ف د ن: وقـد تقـدم (تـولى) وأنجـز كـل بنـاء وتشـييد هـذا البرج. جملـة شـائعة في نقـوش مدينـة مَرْيَمـة، تختـتم بهـا النقـوش المعماريـة لـذكر أسـماء البنـائيين الـذين تولـوا بنـاء تلـك الأبـراج ومـا يتصـل بهـا مـن منشـآت معماريـة أخرى[22].

ت ب ع إ ل/ ب ن/ سَ ل ع ن/ و ش ر ح إ ل/ م ر ق م/ و س ع د إ ل/ م ل ك [...]: تبـع إل بـن سـلعان وشـرح إل مـارق وسـعد إل مالـك [..]. أسـماء البنـائين الـذي تولـوا بنـاء البـرج شـبعان، ولبعضـهم ذكـر في الـنقش (حـاج – العـادي 3/60)، الآتـي على القـول إن شـعب مدينـة مَرْيَمـة السـاكن في مدينـة الرحبـة قـد قـام أيضـا ببنـاء بعـض المنشـآت المعماريـة الأخـرى المتصـلة بسـور مدينـة مَرْيَمـة، في القـرن الأول الميلادي[23].

سطر 8

[..] إ ل س م/ ح و ك م/ و ش ع ب س م/ ذ م ر ي م ت م: بعون (مباركة) إلههم حوكم وشعبهم ذو مَرْيَمة[24].

استطراد 1 :

ظَفَار حِمْيَر في نصوص المسند القتبانية:

إلى جانـب النقشـين مـدار البحـث - الآتيـين على ذكـر مدينـة ظَفَـار - هنـاك أيضـاً أربعـة مـن النصـوص القتبانيـة المهمـة الآتيـة على ذكرهـا في القـرن الأول المـيلادي، مـن خلالهـا يمكـن تتبـع جـزء مـن الـدور التـاريخي لتلـك المدينـة الحِمْيَريـة المهمـة، وأهميتهـا السياسـية والاقتصـادية بوصـفها حينهـا عاصـمة اتحـاد شـعوب حِمْيَـر، ومهـوى أفئـدة التجـار مـن أصـقاع مـدن الـيمن في الوديـان الشـرقية، ولـيس هـذا مجـال الاسـتطراد في هـذا القـول، ولكـن أعـود لأقـول إنَّ تلـك الأربعـة النقـوش الآتيـة على ذكـر مدينـة ظَفَـار عُثِرَ عليها في وادي حَرِيْـب أحـد أهـم أوديـة مملكـة قتبـان، أثنـان منهـا جـاءت مـن مدينـة مَرْيَمـة (Ja 2898= CSAI II, 6; FB-Ḥawkam 3)، والاثنـان الآخـران مصـدرهما مدينـة هربـت الواقعـة (MuB 554= CSAI I, 61; Ry 497= CSAI I, 61) على بعـد حـوالي سـبعة كيلـو مترات إلى الشـمال الشـرقي مـن مدينـة مَرْيَمـة، وجميعهـا تؤكـد مـا لمدينـة ظَفَـار حينهـا – بحجمهـا الجغرافي والـديموغرافي - مـن أهميـة اسـتراتيجية وتجارية.

وأول هـذه النقـوش وأقـدمها - مـن وجهـة نظرنـا - هـو النقش القتباني (Ry 497)، الواقـع على جـدار البرج المسمى حضـران في مدينـة هربـة القتبانيـة، وهـو نقـش ذو طـابع معمـاري يُخَلِّـدُ قيـام شـعب مدينـة هربـة (الأهـروب) المُقيمـين حينهـا في مدينـة ظَفَـار ببنـاء أحـد أبـراج المدينـة المسـمى حضـران وتعليتـه، مـن حـال المثـاب المقـرر على أمـوالهم للإلـه عـم ذو ريمـة، والإلهـة ذات رحبـان، وكـان ذلـك في زمـن حكـم ورو إل غـيلان يهـنعم ملـك قتبـان، وفيمـا يلي نـص النقش وشرحه:

النقش بالحروف العربية:

1) ش ع ب ن/ ا هـــ رب ن/ ح و ر/ هـــ ج ر ن/ ظ ف ر/ ب ر ا و/ و س و ث ر/ و س ش ق ر
2) [م] ح ف د ن/ ح ض ر ن/ ب ن/ م ث ب م/ ث و ب و/ ل ا ل س م/ ع م/ ذ ري م ت م/ و ذ ت
3) [ر] ح ب ن/ ب ع م/ و ب أ ن ب ي/ و ب ع م/ ذ ري م ت م/ و ذ ت/ رح ب ن/ و
4) [... ...] ر/ و ب م ر ا س م/ و ر و ا ل/ غ ي ل ن/ ي ه ن ع م/ م ل ك/ ق ت [ب ن]
5) [...] ح هـــــــ س .. ر[. و ب ق ي ل (س م)/ ذ ر ح ن/ م ع ذ (ا)/ و ذ ا ب [م ..]
6) ك ر ب/ و ب/ (ش) ع ب س (م) [/ ذ] ه ر ب ت

نقل المعنى:

1) (هـذا هـو) شـعب الأهـروب المقـيم في مدينـة ظَفَـار (يعلن أنه) قد بنى وأسس وكلل
2) البـرج حضـران وذلـك مـن حـال العطـاء الـذي كافؤوا به إلههم عم ريمة والإلهة ذات
3) رحبـان، بحـق الآلهـة عـم وأنبـاي وعـم ذريمـة وذات رحبان و
4) [... ...] وبحـق سـيدهم ورو إل غـيلان يهـنعم ملـك قتبان

DOI:10.18018/URUK/020-13/711-731

5) [...] ح هـ س .. روبحق قيلهم ذرحان معذا وذئب [..]

6) كرب وبحق شعبهم ذو هربة

التعليقات:

يفهم من قراءة النقش أن أصحابه هم شعب مدينة هربة القتبانية بوادي حَرِيْب، وأنهم كانوا من التجار المقيمين في مدينة ظَفَار حِمْيَر، وأنه ونتيجة لما حققه ذلك الشعب القتباني من أرباح تجارية جراء إقامته في مدينة ظَفَار حِمْيَر فقد استوجب عليه إنشاء برج متصل بسور مدينتهم، وذلك مثوبة منهم، أي من مثابهم (مالهم، عطائهم، خراجهم) الذي كافؤوا به (جازوا به) إلههم عم ذو ريمة والإلهة ذات رحبان، وهي عادة دأب عليها كثير من سكان مدن قتبان حال عودتهم من حملات تجارية رابحة.

ولعل ما يميز النقش أنه مؤرخ بزمن حكم (ورو إل غيلان يهنعم) ملك قتبان، الذي حكم في النصف الأول من القرن الأول الميلادي، وربما في بدايته، والذي ترك لنا من عهده عدد من النقوش المسندية (RES 3551; Pi. Ḥuṣn al-Wusr)، يمكن من خلالها تتبع الأدوار السياسية والاقتصادية التي لعبتها مملكة قِتْبان خلال مطلع فترة ملوك سبأ وذي رَيْدان (النصف الأول من القرن الأول الميلادي)، ومن أهمها النقش (RES 4329 =CSAI I, 59) الآتي على القول إنَّ أفراد من شعب مدينة هربة القتبانية، وتحديدًا المقيمين منهم للتجارة في مدينة السوا، عاصمة إقليم المعافر قد بنوا محفد (برج) مدينتهم المسمى يحضر الواقع مقابل سور مدينتهم هربة باتجاه الغرب وأسسوه ورفعوه، وذلك مثوبة منهم للإله عم ذو ريمة وللإلهة ذات رحبان، وآلهة المعبد روين، وكان ذلك في عهد الملك ورو إل غيلان يهنعم، بن شهر يجل يهرجب ملك قتبان.

وفي محتوى هذا النقش تأكيد لحجم العلاقات التجارية بين سكان مدن وادي حَرِيْب القتبانية وغيرها من مدن المرتفعات الجنوبية والجنوبية الغربية مثل مدينتي: ظَفَار، والسوا بوصفهما من أهم مدن حِمْيَر في المرتفعات الواقعة على الطريق التجاري المؤدي لمينائي عدن وموزع، إثر تحول الثقل السياسي والحضاري نحو مدن المرتفعات الجنوبية والجنوبية الغربية، نتيجة ما حققته تلك المدن من ازدهار ونشاط تجاري مؤثر في ظل وجود استقرار سياسي شمل مجمل الهضبة الغربية، كان قد بدأ مع ظهور عصر ملوك سبأ وذي رَيْدان، وهو ما كان على حساب النشاط التجاري لمدن الوديان الشرقية التي أصبحت محصورة في نطاق أوديتها الضيقة[25].

ولا نستبعد أن الملك ورو إل غيلان يهنعم قد عاصر بداية حكم الملك كرب إل وتر يهنعم ملك سبأ وذي رَيْدان الذي اتخذ من مدينة ظَفَار حاضرة حكمه، وإلى عهده تعود تلك العملات الفضية التي عُثِرَ عليها مؤخرًا في موقع الأخدود بنجران إلى جانب عملات حِمْيَرية أخرى.

والمعروف أن ورو إل غيلان يهنعم ملك قتبان، هو ابن الملك القتباني شهر يجل يهرجب آخر مكربي قتبان، المرجح حكمه بنهاية القرن الأول قبل الميلاد، وقد تمتعت قتبان في عهده بقدر ملحوظ من الازدهار والاستقرار السياسي والتجاري الفعال، ظل تأثيره ممتدًا حتى فترة حكم ابنه ورو إل غيلان يهنعم[26].

والأرجح، بل من المؤكد أن نشاط مدينة ظَفَار وغيرها من مدن المرتفعات الوسطى والجنوبية الغربية قد بدأ قُبيل القرن الأول الميلادي، بدليل محتوى النقش القتباني (حاج – العادي 21) المُؤَرَّخ بعهد شهر يجل يهرجب ملك قتبان، والد الملك ورو إل غيلان يهنعم، الآتي على القول إنَّ جاليات تجارية من شعب مدينة مَرْيَمة القتبانية كانت تقيم لغرض التجارة في مدينة شُكُع الواقعة بأرض يهنطل (الضالع)، الأمر الذي يشير إلى أهمية الدور السياسي والتجاري لمدن المرتفعات الحِمْيَرية في تلك الفترة، ومن ثَمَّ حجم التجارة القتبانية المرتبطة بمدن تلك المرتفعات، ومن خلالها بخليج عدن وموانئ الركن الجنوبي الغربي من اليمن.

أما ثاني تلك النقوش القتبانية الآتية على ذكر مدينة ظَفَار خلال القرن الأول الميلادي، فهو النقش (حاج - العادي 62= 2898 Ja)، الذي نَشَره لأوَّل مرة – نشرًا

أوليًّا - عالم النقوش اليمنية القديمة البرت جام[27]، ثم أعادت نشره مرة أخرى الباحثة (أفانزيني) ضمن مدونتها عن النقوش القتبانيَّة[28]، دون التطرق إلى معطيات النقش التاريخيَّة واللغويَّة.

وقد حرصنا أثناء زيارتنا لمدينة مَرْيَمة (هجر العادي) بوادي حَرِيْب على توثيق هذا النقش بهدف دراسته مرة أخرى لما له من أهمية تاريخية، تتمثل في كونه أحدَ النقوش المسندية المؤرخة التي يمكن من خلالها تتبع الدور السياسي والاقتصادي لمدينة ظَفَار حِمْيَر، ولكونه من النقوش المهمة بالنسبة لتاريخ مدينة مَرْيَمة خلال المرحلة الثالثة من تاريخ مملكة قتبان، التي قدرناها بين بداية القرن الأول إلى النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي[29].

النقش بالحروف العربيَّة:

1) ش ع ب ن/ ذ م ري م ت م/ ح و ر/ هـــــــ ج ر ن/ ظ ف ر/ ب
2) ر أ و/ و س ق ش ب/ م ر سَ ع ت/ م ح ف د س م/ ي ر د ع/ و
3) س ق ف م/ ص ر ب ت/ ب ن/ م ث ب م/ ث و ب و/ ل أ ل س م/ ح
4) و ك م/ ب ر د أ/ و ت ح ر ج/ م ر أ س م/ ك ر ب إ ل/ و
5) ت ر/ ي هـــــــ ن ع م/ م ل ك/ س ب أ/ و ذ ري د ن

نقل المعنى:

1) (هؤلاء هم) الشعب ذو مَرْيَمة ساكنو مدينة ظَفَار
2) انشؤوا وجددوا ساند محفدهم (المسمَّى) يردع
3) وسقف (طابق) من الأحجار المسوَّاة وذلك من مثاب (عطاء) ثوبوا به (كافؤوا به) إليهم
4) حوكم بعون وأمر سيدهم كرب إل
5) وتر يهنعم ملك سبأ وذو رَيْدان

التعليقات:

أصحاب النقش هم أفراد من شعب مدينة مَرْيَمة المُقيمين للتجارة في مدينة ظَفَار حِمْيَر، وهم يقولون: إنَّهم قد عملوا على بناء ساند البرج المسمى يردع وتجديده، والواقع ضمن سور مدينة مَرْيَمة، وأيضًا بناء سقف (طابق) آخر يعلوه من الأحجار المسوَّاة، وذلك مثوبة منهم للإله حوكم إله مدينتهم الرئيس[30]، وكان ذلك العمل بعون وأمر سيدهم: كرب إل وتر يهنعم (الأول)، ملك سبأ وذي رَيْدان، ابن ذمار علي بيّن، الوارد ذكره في عدد من النقوش السبئية (CIH 373/1-3; Ry 540/2; RES 3895/1)، المرجح حكمه بمنتصف القرن الأول الميلادي[31].

وعليه فإنَّنا أمام دليل آخر يُعَزِّزُ الأهمية التجارية والسياسية لمدينة ظَفَار خلال القرن الأول الميلادي، فأما تجاريًا فلكونها حينها من أهم مدن المرتفعات الوسطى بوصفها محطة رئيسة، وسوق تجاري مزدهر يتوسط الطريق التجاري المؤدي إلى ميناء عدن والمخا وغيرهما.

وأما سياسيًا فلأنها صارت حاضرة الكيان الرَيْداني، وفيها يقيم كرب إل وتر يهنعم ملك سبأ وذي رَيْدان، أي ملك الكِيانين السبئي والحِمْيَري، بل ملك الكِيانات السياسية الأخرى الواقعة ضمن النفوذ القتباني، إذ كيف يمكن لأفراد من مدينة مَرْيَمة القتبانية – كما في نقشنا هذا - أن يُؤَرِّخوا نقشهم باسم ملك حِمْيَري أو سبئي مالم يكن له سلطان عليهم؟

والحق أنه سبق وأن طرحنا هذا السؤال مسبقًا، وخلصنا إلى أنَّه يُشيرُ وبوضوح إلى وجود سُلطة سياسية جديدة في مدينة مَرْيَمة لا تتبع للسُلطة القتبانيَّة التي يبدو أنها حينها فقدت السيطرة على كثير من أراضيها في الأطراف، كما أن في ذكر كرب إل وتر يهنعم تأكيد على أن حكمه كان يمتد ما بين ظَفَار ومارب وصولاً إلى أراضي مملكة قتبان في الهضبة[32]، وبعض مدن الوديان الشرقية التابعة لمملكة قتبان، ولا شك أنَّ هذا التحول السياسي له من الأسباب ما لا نعرف مجملها، ولعل أبرزها - من وجهة نظرنا - هو قيام عصر سبأ وذي رَيْدان وترسيخه في مطلع القرن الأول الميلادي، وربما قبيل ذلك، والذي بظهوره تحققت جملة من الأهداف السياسية والاقتصاديَّة، أبرزها حصول ازدهار شامل لكثير من

DOI:10.18018/URUK/020-13/711-731

المدن والموانئ الجنوبية والجنوبية الغربية التابعة لدولة حِمْيَر، وأبرزها مدينة ظَفَار، وميناءي عدن وموزع وغيرهما، على حساب مدن الوديان الشرقية التي قل نشاطها التجاري على الطريق البريّ، وأصبح كثير من سكانها - خاصة التجار منهم - مرتبطين مباشرةً بالنشاط التجاري والاستقرار السياسي لمدن المرتفعات الجنوبية والجنوبية الغربية وموانئها التابعة لأذوائية حِمْيَر؛ لذا اعترف أصحاب النقش وهم سكان مدينة مَرْيَمة المقيمون للتجارة بمدينة ظَفَار بسلطة الملك كرب إل وتريهنعم عليهم؛ لما ساد في عصره من أمن واستقرار سياسي ونشاط تجاري فعال.

أما ثالث تلك النقوش فهو النقش القتباني (MuB 554 = CSAI I, 147)، وأصحابه نفر من مدينة هربة القتبانية المقيمون للتجارة في مدينة ظَفَار، وهم يعلنون من خلال نقشهم أنَّهم قد تقربوا لمعبودتهم "أثيرة " في معبدها المسمى "يسل" بمدينة هربة بتمثال غير معروف نوعه، مثوبة وتقربًا منهم للمعبودة أثيرة، نتيجة ما حققوه من أرباح طائلة إثر بقائهم في مدينة ظَفَار للتجارة. (قارن النقش حاج – العادي 1)، وفيما يلي نص النقش وشرحه:

النقش بالحروف العربية

1) [ش ع ب ن/ ا] (هـ) ر ب ن/ ح و ر/ هـ ج ر ن/ ظ [ف ر]
2) س ق ن ي و/ أ ث ر ت/ ع د/ م ح (ر) [م س]
3) / ي س ل/ ب هـ ج ر ن/ هـ ر ب ت/ ص [ل م ... ...]
4) [... ...]

نقل المعنى:

1) (هؤلاء هم) شعب الأهروب المقيمون في مدينة ظَفَار
2) (يعلنون أنهم) قرَّبوا للإلهة أثيرة في معبدها المسمى
3) يسل في مدينة هربة [تمثال ... ...]
4) [... ...]

وأما رابع تلك النقوش الآتية على ذكر مدينة ظَفَار، فهو النقش القتباني (FB-Ḥawkam 3)، المُدَوَّن على لوح جميل من البرونز، سبق وأن نشره مؤخراً الباحث الفرنسي برون[33] دون معرفة مصدره على وجه التحديد - نتيجة تهريبه إلى خارج اليمن مع نقوش مسندية أخرى – ومصدره الحقيقي هو مدينة مَرْيَمة بوادي حَرِيْب، وفيما يلي نص النقش وشرحه :

النقش بالحروف العربية:

1) س ع د م/ و ب ن س و و/ س ع د ش م س/ و ن أ د م
2) ب ر ن ط م/ ذ ت و/ و ن ب/ س ق ن ي و/ ل أ ل س م/ و م ر أ
3) س م/ ح و ك م/ ن ب ط/ و أ ل هـ س و و/ أ ل ه ي/ ب ي ت ن
4) ش ب ع ن/ ث ن ت ي/ س ق ن ي ت ن ي و/ ت/ ذ ت/ ص ر ف م/ ك
5) و ن/ م د د ت س/ خ م س ي/ س ل ع ت م/ و ت/ ذ ت/ ذ ه
6) ب م/ ذ ت/ ع ش ر/ س ل ع ت م/ ع د/ م ح ر م س/ م ع ن م/ ف ر ع
7) م/ ك سَ ا/ ل م ر أ س م/ ح و ك م/ ب هـ ج ر ن ي ه ن/ ظ ف ر/
8) و م ري م ت م/ ح ج/ و ق هـ/ ب م س ا ل س/ و ح و ك م/ و
9) أ ل هـ س و و/ ل ي ش م و ن/ و ف ي/ و ص ح/ ذ ن/ أ س د ن/ و
10) ب ن س م/ و ب ك ل س م/ و ذ ن/ ص ح/ ل ه م/ و ر ث د و/
11) ذ ن/ أ س د ن/ س ق ن ي ت س م/ ب ن/ م س ن ك ر
12) م/ و م س ف أ ي م/ ب ن/ أ ب ر ث س م ي/ ب ع ث ت
13) ر/ و ع م/ و أ ن ب ي/ و ح و ك م/
14) و أ ل ه ي/ ب ي ت ن/ ش ب ع ن

DOI:10.18018/URUK/020-13/711-731

نقل المعنى:

1) (هؤلاء هم) سعد وابنيه سعد شمس ونأدم
2) البرانطيون أصحاب ونب (يعلنون) أنهم تقربوا لإلههم وسيدهم
3) حوكم نبط وآلهته آلهة المعبد
4) شبعان بتقدمتين، الأولى من الفضة
5) وقوامها خمس عملات والثانية
6) من البرونز وقيمتها عشر عملات، في معبده المسمى منع
7) هبة منهم لإلههم حوكم في المدينتين ظَفَار
8) ومَرْيَمة، وذلك طبقًا لما أمرهم به، (وبذلك) فليديم الإله حوكم
9) وآلهته سلامة وصحة هؤلاء الرجال (أصحاب النقش)
10) وابنائهم ومواطنيهم ومن طلب السلامة لهم، وقد وضع
11) هؤلاء الرجال (أصحاب النقش) تقدمتيهما (في حماية حوكم) من كل مشوّه
12) ومُحرِّك (مزيل) لها من أماكنها، بحق الآلهة عثتر
13) وعم وأنباي وحوكم
14) وبحق آلهة المعبد شبعان

التعليقات:

أصحاب هذا النقش من أسرة بنى برانط المذكورة في نقوش مسندية أخرى، وهي أهم أسرة قتبانية سكنت مدينة مَرْيَمة بوادي حَرِيْب، ومنها أنحدر أغلب أقيال المدينة، كذلك الكهان والتجار وغيرهم، ويفهم من هذا النقش أن أصحابه، وهم تجار من بني برانط، قد تقربوا للإله حوكم نبط إله مدينة مَرْيَمة بقربانين أحدهما من الفضة وقوامه خمس عملات فضية، والأخر من البرونز وقوامه عشر عملات، وذلك هبة منهم، من حال الربع المقرر على أموالهم، أي المخصص والمقرر للإله حوكم نبط، وآلهة المعبد المسمَّى شبعان على أملاك أصحاب النقش لعملهم في التجارة، ونتيجة لما حققوه وعادوا به من أرباح طائلة إثر عملهم في التجارة بمدينة ظَفَار، وفي مدينتهم مَرْيَمة، أي أثناء تنقلهم للتجارة بين كلا المدينتين. ولا شك أن الغرض الذي من أجله قُدمت تلك العملات هو طلب الحصول على البركة والحماية، وتنفيذًا في الوقت نفسه لالتزامات دينية كان قد أمرهم بها الإله حوكم.

وما يهمنا هنا هو ذكر مدينة ظَفَار إلى جانب مدينة مَرْيَمة في ذات النقش، وهو دليل على ازدهار المدينتين في تلك الفترة، وبخاصة مدينة ظَفَار التي أصبحت حينها مدينة كبيرة مستقرة سياسيًا واقتصاديًا، جذبت إليها - بحكم أهميتها وموقعها - تجار مدن الوديان الشرقية القتبانية.

وما يُؤسَفُ له أنَّ النقشَ غيرُ مُؤَرَّخٍ باسم أحد ملوك قتبان أو ملوك سبأ وذي رَيْدان رغم أهميته ونفاسة مادته ومحتواه، ولكن هناك دلائل أخرى تسوغ لنا تاريخه بنحو بداية القرن الأول الميلادي، وربما قبيل ذلك، منها على سبيل المثال طريقة كتابة حروف النقش المشابهة للنقوش السابقة الآتية على ذكر مدينة ظَفَار في القرن الأول الميلادي، كذلك صيغة التوسل التي ختم بها النقش، الآتية على ذكر الإله عثتر في بداية صيغ التوسل بالآلهة، يليه الإله عم، ثم بقية الآلهة القتبانية، وهذه الصيغة شائعة في النقوش القتبانية العائدة لما قبل القرن الأول الميلادي، الأمر الذي يجعلنا نتساءلُ -هنا - عن إمكانية تاريخ النقش إلى القرن الأول قبل الميلاد؟.

استطراد آخر:

مما سبق يمكن القول: إنَّ هذه الدراسة قد أسهمت في تقديم بعض الحقائق والمعطيات التاريخية عن مدينة يمنية قديمة، تكاد تنعدم عنها الكتابات التاريخية المعتمدة على معطيات نقوشها المسندية نفسها (الحِمْيَرية)، العائدة للقرن الأول الميلادي، التي لا نستبعد العثور عليها، حال استكملت أعمال التنقيبات الأثرية العلمية، بين تلك التلال والمدرجات الأثرية المكونة لمدينة ظَفَار، ولا شك أنَّ تكرار ذكر مدينة ظَفَار حِمْيَر في المساند القتبانية أعلاه قد جاء من أهميتها التجارية والسياسية آنذاك، ليس فقط على المستوى المحلي، بل ربما الإقليمي بحكم موقعها الاستراتيجي واتصالها بموانئ البحر الأحمر

DOI:10.18018/URUK/020-13/711-731

والمحيط الهندي، لذا قدمت إليها مختلف الجاليات التجارية من مدن ممالك اليمن القديم، منها مدينتي مَرْيَمة وهربة القتبانيتين.

ليس ذلك وحسب، فاندفاع سكان مدن الوديان الشرقية في القرن الأول الميلادي – وربما قبله - نحو مدينة ظَفَار، وغيرها من مدن المرتفعات الواقعة على أطراف الهضبة اليمنية الغربية والجنوبية المطلة على البحر، له من العوامل والأسباب الكثيرة، أبرزها وجود تحول مسبق في القوى السياسية والاقتصادية الداخلية، ونجاح أذواء بني ذي رَيْدان في إكمال سيطرتهم على الجزء الجنوبي الغربي المهم من اليمن، بما فيه من مدن وموانئ بحرية، بحكم قربهم من موانئ تلك البحار، الأمر الذي عزز من نفوذهم السياسي والاقتصادي جراء نشاط حركة التجارة فيما وراء البحر الأحمر والعربي، الأمر الذي عَجَّلَ بازدهار مدن المرتفعات - التابعة لهم والممتدة حتى البحر - وتناميها ، وأبرزها مدينة ظَفَار حاضرة الكيان السياسي الجديد.

والأرجح أن الحِمْيَريين حينها قد برعوا في استغلال هذه الموارد، فضلا عن موارد أرضهم الزراعية، فعمدوا إلى تأهيل الموانئ الواقعة تحت سيطرتهم وإنشاء المراكز التجارية في الداخل والخارج للاستفادة منها، الأمر الذي أسهم في زيادة رخائهم الاقتصادي ورخاء حاضرتهم المحصنة الواقعة في أخصب بقاع اليمن، ويتأكد هذا الأمر مع ما ورد في بعض المصادر الكلاسيكية من إشارات تاريخية تشير إلى علاقة الحِمْيَريين الكبيرة بالتجارة البحرية، وأن الحِمْيَريين قد انفردوا حينها بميناء موزا (موزع) الذي بلغ نشاطه حينها أضعاف نشاط الميناء الأكسومي المنافس لأدوليس "عدولي" (بافقيه، 1993، ج2: 64)، وأن أجزاء كثيرة من سواحل البحر الأحمر واقعة تحت سيطرتهم بما في ذلك السواحل الواقعة على الضفة الأفريقية، وأن مدينة ظَفَار حسب ما ورد في كتاب الطواف حول البحر الإريثري العائد للقرن الأول الميلادي، كانت هي العاصمة، وأهم مدينة اقتصادية وسياسية آنذاك، وفيها يقطن حاكم شعبي سبأ وحِمْيَر المسمى كرب إل (يهنعم)، الذي حاز صداقة الأباطرة الرومان من خلال هداياه وسفرائه[34].

وبهذه المعطيات النقشية والكلاسيكية يمكن القول: إنَّ مدينة ظَفَار خلال القرن الأول الميلادي كانت بحق حلقة الوصل الأهم بين مدن الوديان الشرقية، وبين مدن الساحل الغربي والجنوبي وموانئها، ينقلُ تجارُها ومرتادوها تجارتَهم من الشرق إلى الغرب والجنوب، ويرجعون إليها ومن ثَمَّ إلى مدنهم مُحَمَّلِين بواردات مدن الساحل الغربي والجنوبي وموانئها.

ولم يقتصر دور ظَفَار حينها على الجانب السياسي فقط بوصفها مقر لحكم ملك السبئيين والحِمْيَريين وبعض تجار مدن قتبان كما جاء في النقوش القتبانية أعلاه، ولا على الجانب الاقتصادي بوصفها قصبة تربط بين تجارة البحر وتجارة الداخل، شرقًا وشمالًا، بل امتد لتصبح حينها مركزًا ثقافيًا ناقلًا لمظاهر الحضارات الأخرى، والناتج حتمًا عن رواجها الاقتصادي، ووجود جاليات تجارية عدة بها، ويظهر هذا جليًّا في كثير من فنون حِمْيَر النحتية الآتية من مدن تلك المرتفعات الوسطى، كفنون مدينة ظَفَار، والعود وغيرهما.

وهو دور لا نعلم متى بدأت مدينة ظَفَار حِمْيَر تمارسه سياسياً واقتصادياً، إلا أنَّنا نرجحُ أنَّ هذا الدور لم يكن إلا حصيلة استقرار سياسي كانت قد شهدته مدن المرتفعات منذ وقت مبكر، بحكم ازدهار النشاط التجاري بها، على حساب مدن الوديان الشرقية.

واخيراً فإن النقوش سابقة الذكر تُفْضِي بنا إلى القول: إنَّ ذكرها لمدينة ظَفَار لم يأتِ إلا نتيجة حتمية لحقائق تاريخها القديم الذي نعتقد أنَّ بدايتَه كانت قد ظهرت مُبَكِّرًا مع زمن تاريخ مدن وكِيانات المرتفعات اليمنية القديمة وإن كان ذكرها قد أقتصر – حتى اللحظة - على المساند القتبانية ما بعد الوسيطة وقبيل المتأخرة ، المرجح تاريخها بين أواخر القرن الأول قبل الميلاد إلى ما بعد منتصف القرن الأول الميلادي، ولكن هل معنى ذلك أن اسمها وموقعها – بما له من ابعاد جغرافية وسياسية وتاريخية لم يطلق عليها إلا في هذه المرحلة من تاريخ

DOI:10.18018/URUK/020-13/711-731

قتبان؟، والجواب على ذلك حتما لا، إذ لا نستبعد أن تأتي المساند المبكرة على ذكرها في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد، مثلها مثل أي مدينة من مدن وكِيانات المرتفعات الواقعة على مقربة من مدينة ظَفَار الآتي ذكرها في مساند القرن الثامن والسابع قبل الميلاد، كتلك المذكورة في نقش المكربين السبئيين يثع أمر وتر بن يكرب ملك، وكرب إل وتر (DAI Ṣirwāḥ 2005-50; RES 3945).

ولعل تلك العلاقة بين مدن الوديان الشرقية، خاصة مدن مملكة قتبان في كل من وادي بيحان وحَرِيْب، وبين مدن وكيانات المرتفعات اليمنية الوسطى والجنوبية، كظَفَار وشُكُع وتُبن، والحيكل، ورحابة، وغيرها لم تقتصر في نهاية الأمر على العلاقات التجارية فحسب، بل تعدتها إلى إقامة روابط وشراكات اجتماعية دائمة وفعالة جاءت نتيجة لحركة نزوح واسعة باتجاه تلك المراكز النشطة والفعالة في المرتفعات الوسطى، وما جاورها من بيئات خصبة مشابهة، خاصة إذا ما أخذنا في الاعتبار عامل المناخ الذي اسهم في خلق حياة غير مستقرة لدى مدن الوديان الشرقية، وما شَكَّلَه دخولُ القبائل المتبدية من خطر على أمن تلك المدن الشرقية وسلمها منذ حوالي القرن الأول الميلادي، فضلاً عن الغياب التدريجي للدولة المركزية في تلك الوديان التابعة للملكة قتبان منذ حوالي بداية القرن الثاني الميلادي؛ لذا ونتيجة حتمية لتلك العوامل الهدامة السابقة كانت مدن المرتفعات حينها هي أنسب البقاع والمراكز التجارية النشطة لسكان المدن القتبانية، وتحديداً التجار منهم، والمرجح أن ذلك الاستقطاب الاجتماعي الذي شهدته مدن المرتفعات بما فيها مدينة ظَفَار كان قد ترافق مع بزوغ نجم دولة حِمْيَر التي آخذت في التنامي مع بداية القرن الأول الميلادي، وربما قبيل ذلك بكثير.

لقد كشفت لنا النقوش القتبانية من مدينة مَرْيَمة الآتية على ذكر مدينة ظَفَار، وما جاورها من مدن الكيانات السياسية جنوبًا وشرقًا، عن تاريخ طويل من الحركة الدائبة في تلك المناطق، بدأها القتبانيون منذ وقت مبكر، بهدف السيطرة على أراضي تلك الكِيانات المُطَلّة على الموانئ الجنوبية والغربية، وهو ما يؤكده نقش جبل العود (RES 3858) جنوب ظَفَار، الآتي على القول: إنَّ ملوك قتبان قد انتزعوا جزءاً كبيراً من أراضي سبأ في المرتفعات الجنوبية الاستراتيجية المؤدية جنوبًا وغربًا إلى البحر، ولتسهيل الوصول إلى تلك المناطق، وتفعيل الحركة فيما بينها، حرص ملوك قتبان الأوائل على شق عدد من الممرات الصخرية الصاعدة وتعبيدها، بغرض ربط مدنهم في كُلٍّ من وداي بيحان وحَرِيْب، بمدن المرتفعات الوسطى والجنوبية، ومنها إلى البحر، ومن أهم تلك الممرات الصخرية الصاعدة ما يُعْرَفُ بنقيل بُرَع، الذي كَشَفَ عنه وعن نقوشه المسندية – مؤخرًا- (1 Aqabat Bura')، والذي تم شقه وتعبيده إبان حكم المكرب القتباني يدع أب ذبيان بن شهر، في حدود القرن الخامس – الرابع قبل الميلاد[35]، الذي تَلَقَّبَ كغيره من مكاربة قتبان آنذاك باللقب الملكي الطويل: مكرب قتبان وكل ولدعم وأوسان وكحد ودهسم وتبنو وكل يرفأ أشأمه ويمنه. إثر سيطرتهم على تلك المناطق وما تلاها جنوبًا، الأمر الذي ساهم في ازدهار مدن مملكة قتبان وتنامي ثروتها، ومن ثم تسهيل تواجدها هناك، وهو تواجد لا بد وأن يكون قد نشأ من شعور ملوك قتبان وشعوبهم بحاجتهم لضم تلك الأراضي، بوصفها أسواقًا تجارية تقع بين المدن القتبانية في الشرق، والمدن والموانئ الساحلية الواقعة في الغرب والجنوب، لا سيما وأن تلك المدن الرَيْدانية تتوسط المسافة بين مدن قتبان والبحر، وهو الشعور نفسه الذي نشأ لدى السبئيين والأوسانيين منذ وقت مبكر خلال النصف الأول من الألف الأولى قبل الميلاد، وكان السبب في بناء حضارة يمنية أخرى في العدوة الأخرى بأرض الحبشة، وأدى إلى خلق تفاعل وتمازج من نوع آخر، وانبثاق روابط اجتماعية وكيانات سياسية جديدة.

DOI:10.18018/URUK/020-13/711-731

قائمة الرموز والمختصرات:

حاج – العادي	مجموعة النقوش المسندية التي نشرها الحاج، محمد علي من هجر العادي بوادي حَرِيْب.
ʿAqaba Burá	Inscription of 'Aqaba Bura'. Gajda,I: 2009.
CIAS	Corpus des inscriptions et antiquités sud-arabes, Louvian : Peeters , 1977 – 1986.
CIH	Corpus-Inscriptionum Semiticarum.
CSAI	Corpus of South Arabian Inscriptions. Avanzini 2004.
DAI Ṣirwāḥ 2005	Deutschen Archäologischen Instituts, Sirw'ḥ 2005
FB-Ḥawkam	Qatabanian Inscriptions. Bron, F. 2009, 2013.
Ja	Inscriptions edited by Jamme.
Āl Ṣabāḥ LNS 1756 M/4	Qatabanic Inscriptions from Hajar al-ʿAdi deposit Islamic Antiquities House in the Museum of Kuwai.
MuB	Inscriptions of the Bayḥān Museum
RES	Repertoire d Epigraphic Semitique, tomes I-VIII.
Ry	Inscriptions edited by G. Ryckmans.
ZM	Inscriptions of the Zafar Museum
Gar antichità	Late Sabaic Inscription, edited by Garbini 1970.
DhM	Inscriptions of the Dhmar Museum. مجموعة نقوش متحف ذمار الإقليمي
M	Minaic Inscriptions.
Pi. Ḥuṣn al-Wusr	Ḥuṣn al-Wusr Inscriptions, edited by J. Pirenne 1981.

الهوامش والإحالات:

([1]) الهمداني، 2004م، ج8: 52- 53، 81، 82

([2]) الأكوع في كتاب الإكليل، 2004م، ج 1: 117.

([3]) الهمداني، 2004، ج1: 117؛ الهمداني، 2004، ج8: 50

([4]) Yule et al, 2007, 479-547, Pl. 1-47; 2009, 1-24.

([5]) هذا فيما يخص التاريخ الفعلي لمدينة ظَفَار إبان العصر الحِمْيَري، أما قبل ذلك فقد عثر فيها على نقوش مسندية مكتوبة بخط سير المحراث يعود تاريخها لحوالي القرن السابع - السادس قبل الميلاد، فضلا عن منحوتات زخرفية، وكسر فخارية يرجح تاريخها بالقرن الثاني قبل الميلاد (الأشول، 2016: 64)، وليست هذه هي النقوش المسندية المبكرة التي عثر عليها في منطقة المرتفعات الوسطى أو على مقربة منها، إذ أن هناك نقوش سبئية أخرى مكتوبة بخط سير المحراث عثر عليها في منطقة ذمار الواقعة ضمن أراضي مملكة حِمْيَر الرئيسة (DhM 205; DhM 299)، سبق أن عملنا على توثيقها في العام 2008م إلى جانب أعضاء البعثة الإيطالية، وهي حاليًا بحوزة متحف ذمار الإقليمي. للمزيد انظر:

Prioletta, Alessia, nscriptions from the southern highlands of Yemen. The epigraphic collections of the museums of Baynūn and Dhamār. (Arabia Antica, 8). Roma: L'«Erma» di Bretschneider. 2013.

([6]) اكتشف هذا النقش في بداية عام 2014م على يد بعض سكان هجر العادي ممن يمتهنون الحفر العشوائي لمنشآت مدينة مَرْيَمة بحثًا عن أثارها، وقد قام بتصويره وتصوير المنشآت المعمارية المحيطة به، المواطن حسين الشريف أحد أبناء قرية هجر العادي، الذي تفضل مشكوراً بإرسال الصور لنا، وتزويدنا بالمعلومات المتعلقة ببناء المنشآت المعمارية الآتي على ذكرها النقش، فله على ذلك جزيل الشكر.

([7]) ينظر: الحاج، 2014: 93- 126؛ الحاج، 2015؛ الحاج، 2017.

([8]) ينظر (الحاج، 2017: 256- 257.

([9]) Arbach, et al, 2001, 51-52; 2016, 264-266.

([10]) للمزيد ينظر: الحاج، 2017: 153- 154، 287.

([11]) هذا النقش مما تبقَّى بحوزتنا من نقوش هجر العادي التي كنا قد عملنا على تصويرها في العام 2014م بمساعدة الأستاذ علي الشريف وابنه عبد الرحمن.

([12]) ينظر: الحاج، 2017: 264- 295.

([13])ينظر نقش: حاج – العادي 3/31؛ حاج، 2015أ: 136.

[14]يُعد هذا النقش المدون على لوح مستطيل من البرونز من أنفس وأهم النقوش المسندية التي عثر عليها في مدينة مَرْيَمة لما يحتويه من معلومات تاريخية مهمة تؤرخ لمدينة مَرْيَمة بشكل خاص، وقتبان بشكل عام، في القرن الخامس وربما السادس قبل الميلاد، ومصدر النقش هو معبد الإله حوكم الواقع في غرب مدينة مَرْيَمة، وقد تفضل الصديق كرستيان روبان

في العام 2013م بمدينة باريس بتزويدنا بصور النقش لعلمه بمدى اهتمامنا بآثار ونقوش مدينة مَرْيَمة (هجر العادي) بوادي حَرِيْب، وما يؤسف له أن هذا النقش إلى جانب نفائس برونزية أخرى من نقوش وتماثيل أدمية وحيوانية لم تعد موجودة على الأرض اليمنية، فقد تم تهريبها إلى الخارج، وبيعها لدار الآثار الإسلامية بمتحف الكويت، وتعرف حاليًا بمجموعة الشيخ الصباح، وقد قدم روبان مؤخرًا قراءة أوليه لهذا النقش في كتاب تمنع الصادر حديثًا:

Robin. Christian. Gli scavi italo-francesi di tamna'(repubblica dello Yemen), rapporto finale, In memoria di Alessandro de Maigret, A cura di Alessandro DE MAIGRET Christian Julien ROBIN, Éditions de Boccard 11 rue de Médicis, 75006 Paris, 2016, p, 70, 82, 92.

([15]) راجع محتوى النقش حاج – العادي 2/40؛ 5/56

([16]) راجع محتوى النقوش: حاج – العادي 1/35؛ حاج – العادي 4/56،؛ الحاج، 2017: 55، 153- 154.

([17]) انظر (الحاج، 2017: 153- 154، 287).

([18]) بيستون وآخرون، 1982: 60.

([19]) Gelb, 1957, 128-129.

([20]) Late and Sanmartin, 2003, 393.

([21]) Leslau, 1991, 261.

([22]) انظر نقش: حاج – العادي 57/ 5؛ حاج – العادي 3/60.

([23]) الحاج، 2017: 289.

([24]) انظر نقش: حاج – العادي 56، 58.

([25]) بافقيه، 2007م، 150؛ الحاج، 2017م، ص 16.

([26]) حكم شهر يجل يهرجب ملك قتبان بعد أبيه الملك (هوف عم يهنعم)، ويُعَدُّ جده الأكبر يدع أب ذبيان يهنعم (الثالث) ملك قتبان، المؤسس الأول لتلك الأسرة، التي دام حكمها حوالي مائة وخمسين عام، منذ بداية القرن الأول قبل الميلاد– وربما قبيل ذلك – وحتى النصف الأول من القرن الأول الميلادي. للمزيد ينظر:

Arbach, Tamna' : histoire et chronologie d' aprés les inscriptions in Arabia, Volume 3, 2005- 2006, pp ,123-130; Avanzini, Corpus of South Arabian Inscriptions I-II. Qarabanic, Marginal Qatabanic, 80, 82, 85, 163, 165. Awsanite Inscriptions, Pise.2004, p. 79,

([27]) Jamme, 1981, 98-99.

([28]) Avanzini, 2004, 518.

([29]) عن الدراسة اللغوية والتاريخية لهذا النقش ينظر: الحاج، 2017: 299- 307.

([30]) عن الإله حوكم وأهميته في تاريخ مدينة مَرْيَمة وقتبان بشكل عام، ينظر: الحاج، 2015أ، 94- 96؛ الحاج، 2017: 69 – 71.

([31]) عن فترة حكم الملك كرب إل وتر يعنهم (الأول) وما يرتبط بها من أحداث ينظر: بافقيه، 1994م ب: 44، 48؛ الناشري، 2007م: 51؛ Kitchen, 2002, 728، كذلك الحاج، 2017: 305- 306.

([32]) بافقيه، 1994م: 39.

([33]) Bron, 2009, 124-126.

([34]) The Periplus, Ch. 23, pp. 30-31.

([35]) (Gajda, al-Hajj, and Schiettecatte, 2009: 165-181.

المصادر والمراجع:

أولا: العربية:

الإرياني، مطهر، 1990م، في تاريخ اليمن، نقوش مسندية وتعليقات، ط2، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء..

الأشول، نبيل، المدن المحصنة، في منطقة المرتفعات اليمنية الوسطى، مدينة ظَفَار حِمْيَر حالة دراسية، سلسلة مداولات علمية محكمة للقاء السنوي للجمعية السعودية للدراسات الأثرية، العدد 4، 2016م، ص ص 33 – 101.

بافقيه، محمد عبد القادر، 1994م، كرب إل وتر الأول والدولة الأولى في بلاد العرب (فرضيات عمل جديدة) ، حولية رَيْدان للآثار والنقوش اليمنية القديمة، العدد 6، ص ص 32- 56.

..... 2007م، توحيد اليمن القديم، الصراع بين سبأ وحِمْيَر وحضرموت من القرن الأول إلى القرن الثالث الميلادي، ط1، ترجمة: على محمد زيد، مراجعة محمد صالح بلعفير، تقديم وتدقيق منير عربش، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعيَّة بصنعاء.

..... 1993، في العربية السعيدة، دراسات تاريخية قصيرة 2، ط 1، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء.

بيستون، أ. ف. ل، وآخرون. 1982م، المعجم السبئي، دار نشريات بيترز ومكتبة لبنان، لوفان وبيروت.

الحاج، محمد علي، 2013م، "مدينة شُكع وأرض يهنطل في ضوء نقش قِتْباني جديد مؤرخ بعهد الملك شهر يجل يهرجب"، مداولات اللقاء الثالث للجمعية السعودية للدراسات الأثرية في دورتها الرابعة، المملكة العربيَّة السعودية، الرياض، ص ص 121-144.

DOI:10.18018/URUK/020-13/711-731

..... 2014م، "الأوضاع السياسية لمملكة حضرموت وعلاقتها بمملكة قتبان في بداية القرن الأول قبل الميلاد، معطيات تاريخية حديثة في ضوء نقش قتباني جديد مؤرخ بعهد الملكين شهر هلال يهنعم وابنه هوف عم وملك حضرموت يدع أب غيلان"، مجلة عالم المخطوطات والنوادر، مج 19، ع1، ص ص 93- 163.

..... 2015ب، "دراسة تحليلية مقارنة لألفاظ مسندية (قتبانية) جديدة (1) ، مجلة دراسات في علم الآثار والتراث، الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، العدد السادس، يناير، ص ص 109- 122.

..... 2015م أ، نقوش قِتْبانية من هجر العادي (مَرْيَمة قديمًا) دراسة في دلالاتها اللغويَّة والدينيَّة والتاريخيَّة، كرسي الأمير سلطان بن سلمان لتطوير الكوادر الوطنية في السياحة والآثار، سلسلة دراسات علمية محكمة (4) جامعة الملك سعود.

..... 2017م، نصوص قتبانية جديدة من مدينة (هجر العادي) بوادي حَرِيْب، دراسة تحليلية مقارنة، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الآثار، كلية السياحة والآثار، جامعة الملك سعود.

الحسني، جمال، 2012م، الإله عم وآلهة قِتْبان (٧٠٠ ق.م – ١٧٠ م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة طنطا.

الناشري، علي محمد.، 2007م، اليمن في عصر ملوك سبأ وذي رَيْدان من القرن الأول إلى منتصف القرن الثاني الميلادي، دراسة تاريخية من خلال النقوش، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة صنعاء.

الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، 2004م، الإكليل، ط2، ج1، ج 8، تحقيق محمد بن علي الأكوع، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء.

ثانيًا: الأجنبية:

Arbach, Mounir, 2005- 2006. Tamnaʿ: histoire et chronologie d' aprés les inscriptions in Arabia, Volume 3, pp, 123-130.

…….. 2016. Annexe: les inscriptions du temple d'Athirat (II. Il tempio di Athirat: rapporto finale degli scavi 1999-2000). In Alessandro de Maigret and Christian J. Robin (eds). Gli scavi Italo-Francesi di Tamnaʿ (Repubblica dello Yemen). Rapporto finale. (Orient & Méditerranée, 20). Paris: De Boccard, Pp. 259-287.

Arbach, Mounir, Avanzini, Alessandra, Bāṭāyiʿ, Aḥmed and Robin, Christian, 2001. Matériaux pour le corpus des inscriptions qatabānites (II). In Raydān, 7, pp. 51-73.

Avanzini, Alessandra, 2004. Corpus of South Arabian Inscriptions I-II. Qarabanic, Marginal Qatabanic, Awsanite Inscriptions, Pise.

Bron. F., 2009, Trois nouvelles dédicaces qatabanites à Ḥawkam", in or, 78, n° 2, pp. 121-126, pl. I-IV.

Gajda, Iwona, al-Hajj, Khaled and Schiettecatte, Jérémie 2009. Two inscriptions commemorating the construction of a mountain pass, by Ydaʿʾab Dhubyān son of Shahr mukarrib of Qatabān, and by the qayls of the Maḍḥī tribe. Egitto e Vicino Oriente, 32: 165-181.

I.J. Gelb, 1957. Glossary of Old Akkadian, Materials for the Assyrian Dictionary NO. 3, Chicago: The University of Chicago Press.

Jamme. A, 1981, "Pre-Islamic Arabian Miscellanea", in al-Hudhud: Festschrift Maria Höfner zum 80. Geburstag, hrsg. Von Roswitha G. Stiegner, Graz, pp. 95-112.

Kitchen, K. A., 2000. Documentation for Ancient Arabia, part II, Liverpool University press.

Leslau W. 1987, Comparative Dictionary of Geʿez (Classical Ethiopic). Wiesbaden: Harrassowitz.

Lete. G & Sanmartin. J. 2003, A Dictionary of the Ugaritic Language in the Alphabetic Tradition, Part 1, Translated by Wilfred G.E. Watson. Boston.

Dhafār and al-Raḥabah, had established and built a number of architectural structures located within the wall of Maryamah city.

The significance of these inscriptions comes from the fact that they have not been known and published, and they mention the city of Dhafār Himyar as the capital city of the Himyaritic political entity. Furthermore; Dhafār Himyar was the most important stronghold in the Central Highlands Region, and as a second of Himyar commercial cities that became since the beginning of the first century AD the headquarters of a number of commercial communities. Most notably were Qatabanian communities, because of the location of Dhafār Himyar linking the cities of the eastern valleys and the sea, overlooking at the same time on a number of strategic cities and ports, such as the city of al-Sawā, Shukuʿ, Tuban, and the ports of Aden and Mauzāʿ. Moreover, the first inscription of this study was found in its original location of the building, which clarifies the significance of some of the terms of Musnad construction inscriptions.

Müller, Walter W. 2010. Sabäische Inschriften nach Ären datiert. Bibliographie, Texte und Glossar. (Veröffentlichungen der Orientalischen Kommission, 53). Wiesbaden: Harrassowitz Verlag.

Pirenne, Jacquelinem 1981. Deux prospections historiques au sud-Yémen. Raydān, 4, pp. 229-230.

Prioletta, Alessia, 2013. Inscriptions from the southern highlands of Yemen. The epigraphic collections of the museums of Baynūn and Dhamār. (Arabia Antica, 8). Roma: L'«Erma» di Bretschneider.

Robin. Christian. 2016. Gli scavi italo-francesi di tamnaʿ(repubblica dello Yemen), rapporto finale, In memoria di Alessandro de Maigret, A cura di Alessandro DE MAIGRET Christian Julien ROBIN, Éditions de Boccard 11 rue de Médicis, 75006 Paris, p, 70, 82, 92.

The periplus Maris Erythraei., (1989), Translation, and Commentary by Lionel Casson. Princeton University press.

Yule, Paul, 2009. Ẓafar, Capital of Ḥimyar. Seventh Preliminary Report, 2007 and 2008. 1-24. 2016/12/05; http://archiv.ub.uni heidelberg.de.

Yule. Paul. Kristina Franke · Cornelius Meyer · G. Wilhelm Nebe · Christian Robin· 2007. Carsten Witzel, ẒAFR, CAPITAL OF ḤiMYAR, IBB PROVINCE, YEMEN, Originalveröffentlichung in: Archäologische Berichte aus dem Yemen, 11, 479-547, Pl. 1-47.

Abstract:

This is an analytical study of two Musnad inscriptions written in the Qatabanian dialect, which were found in the village of Hajar al-ʿAdi in Wadi Harib, where the ancient city of Maryamah is located. Maryamah is one of the most important cities of the Kingdom of Qataban on the old caravan route, linking the northern cities of Qataban and the city of Marib, the capital of Saba. These two inscriptions are of a construction nature, and they reveal that the people of Maryamah city, especially the merchants residing in the cities of